ملخص محاضرات مقياس المنهجية
السداسي الرابع، سنة ثانية ليسانس تاريخ

الطلبة الأعزاء:

تحية طيبة وبعد:

في السداسي الأول أخذنا معظم المطلوب في المقياس، وركزنا على علم التاريخ: (تعريفه، مكانته، مجال البحث فيه) وعلى العلوم المتصلة به والتاريخ عند العرب وعن الغرب وأهم المصادر والمراجع، ونظرا للظروف الخاصة فإن استيعاب أغلب مطالب المنهجية متعذر، إلا أنه يمكننا أن نضيف العناوين التالية المركّزة، وهي أشبه بالخص الضروري، والطالب الجاد والباحث سيقوم بإثرائها مطالعة ومراجعة ليكتسب خبرة منهجية في كتابة بحوث منهجية ومقالات مؤصّلة، وعليه فهذه السطور هي مجرد إرشادات كان يمكننا تفصيلها في محاضرات، إلا أن الظروف فرضت تركيزها والطالب المجدّ سيكتفي بالإشارة عن إسهاب العبارة.

- **مجالات البحث:**

مجال البحث في التاريخ واسع، ومع كل يوم يتسع ذلك المجال مع الأحداث الجديدة التي تدخل يوميا في نطاق (الماضي)، وفي الحياة العصرية تتشعب الأحداث الراهنة، ويضع المؤرخ يده على مصادر أكثر موثوقية مع تطور مصادر المعلومة، ويبقى التاريخ القديم رهن المتاح من الوسائل والمصادر.

- **عن منهجية كتابة البحث التاريخي**

نحتاج في الكتابة التاريخية إلى منهجية خاصة، وقد سال حبر كثير في قضية المنهج غير أن الطالب بحاجة إلى: الإيمان بالمنهجية أولا، والمنهجية من (المنهج)، وبينهما فرق، فالمنهجية هي طريقتك المتبعة أيها الطالب في كتابة بحث مقبول، وهي مجموعة ضوابط، أما المنهج فهو اسم لوسيلة معرفية تقوم بتفسير المادة المعرفية، كالمنهج التجريبي والاستقرائي والوصفي وهكذا، وعليه فالمنهج وسيلة مفسرة، والمنهجية هي من تجعل الكتابة محروسة بضوابطها، وهذه هي وظيفة المنهجية، أن لا تترك الطالب أو الباحث يضيع في فروع البحث وتشعباته، وقد يؤدي به هذا إلى البعد عن غرضه الأصلي في البحث، فيقدم ما ينبغي تأخيرُه، أو يلغي ما ينبغي الاهتمام به، أو يخطئ في طريقة الكتابة والعرض فيُتعب القارئ، أو يدخل في البحث ما ليس منه، وعليه فأول ما يُطالب به الباحث الجامعي أو الطالب أن يؤمن

بالمنهجية، وأنه صار ملزما بقواعد خاصة للبحث اتفق عليها أو على معظمها الباحثون، وفي انتقاله إلى الطور الجامعي من الطور الثانوي يكون هذا هو التغير الأكبر في حياته العلمية، إنها الكتابة المنضبطة، وبها يتخلص من الإنشائية والفوضى المعرفية، وتساعده الجامعة على بناء قوالب معرفية يصوغ من خلالها كل المعطيات العلمية والثقافية وينقدها بوسائل أكثر نجاعة وكشفا للحقائق، وهذا سبب تدريس مقياس المنهجية في كل تخصص.

إذن في كل تخصص يحتاج الطالب المنهج والمنهجية، ويحتاج أن يأخذ لمحة عن علم المناهج عموما وخاصة ما يتعلق بتخصصه، وهذا ما عليه استيعابه أيضا، فليست كل المناهج صالحة لكل التخصصات، فالتباين بين العلوم يفرض تباينا بين مناهج البحث فيها، والإيمان بهذا التباين هو المطلوب الثاني من الطالب بعد إيمانه بضرورة البحث المنهجي المنضبط، وفي تخصص التاريخ يحتاج الطالب إلى تشكيل رؤيته لنطاق البحث، وهو الحادثة التاريخية أو الماضي عموما بكل متعلقاته، فلا ريب أن التاريخ مختص بالماضي، فهو إعاد بناء للحادثة التاريخية لفهمها، أو استثارة للخفي فيها، أو قراءة أخرى لها، أو ربط لها بأحداث أخرى، أو استحضارها وجمع مادتها مرتبة حتى تعطي للقارئ هيكللا معقولا للحادثة التاريخية، ومهمة البحث التاريخي هو محاكاة الحادثة الحقيقية، كأن المؤرخ يقول: هكذا وقعت الحادثة، ومعلوم أن المحاكاة التامة لا تتيسر، ولكن المطلوب هو الوصول إلى أكبر قدر ممكن من الموثوقية والمحاكاة مما يبعث على الطمأنينة.

وفي نطاق البحث التاريخي نحتاج إلى معرفة الأهداف، ومنها إعادة بناء الحادثة التاريخية، وتفسير الحاضر على ضوء الماضي، والقراءة التنبيؤية للمستقبل لكون التاريخ حاويا لفلسفة التاريخ التي تجعل كثيرا من قوانين الحاة تتكرر وتنتقل من الماضي إلى الحاضر، كما أن هناك حاجة معرفية وفضولا عند الإنسان لمعرفة ماضيه وماضي أسلافه، كل هذا تتيحه الكتابة التاريخية، وتلك الكتابو تحتاج إلى (الدليل التاريخي)، وهو من أهم ما يسعى وراءه الباحث، فحين يطرح إشكالية بحثه ويطرح لها الفرضيات والإجابات المؤقتة عليه تدعيم فرضياته تلك بالأدلة التاريخية المقروءة بعمق وصوابية، والدليل التاريخي يعني الشاهدَ الذي يؤكد الفرضية أو ينفيها، وفي مرحلة البحث قبل الكتابة ينبغي على الباحث (التقميش) قبل (التفتيش)، ونعني بها أن يجمع كل ما يمكن جمعه من المصادر والوثائق قبل نقدها، فمرحلة الجمع سابقة لمرحلة النقد، وهذا منهج أصيل عند المسلمين، وقد أسس له علماء الحديث النبوي حين بدأوا بالجمع أولا، فجمعوا كل الراوايات التي استطاعوا، وبعد إتمام الجمع تفرغوا للبحث والتمحيص والنقد، ومنهم من اكتفى بالجمع فقط، وترك التمحيص والنقد لغيره، ولهذا نجد في الروايات تلك ما يصنف في صنف (المسانيد) و(السنن) غير المنقحة، ومنها ما يصنف في (الصحاح)، وهي التي خضعت للتنقيح، ومنهج المحدّثين منهج أصيل استثنائي نال إعجابا منقطع النظير، وأثبت أنه لم يوجد في التاريخ إلا عند المسلمين، وانتقلت تلك الطريقة من الحديث إلى علم التاريخ، فمعظم المؤرخين

الأوائل محدثون ورواة كالطبري وابن كثير والذهبي وآخرين، ثم جاء التخصص في ابن خلدون، ومجمل القول أنه لا توجد أمة في التاريخ جمعت أكبر قدر من الروايات وأكبر قدر من الرواة ثم عرضت الجميع للنقد إلا الأمة الإسلامية، وفيها تجد ما يقارب النصف مليون من الرواة وتجد لكل واحد خبرا وحكما بالموثوقية أو ضعفها أو عدمها، وهذا ما يحتاجه الباحث التاريخي، ان يجمع ويجمع ما استطاع بما تسمح له فترة البحث، ويكون جمعه الأولى فالأولى، فالأمور التافهة والتي يتأكد من اول نظرة أنها لا تنفع البحث يتركها ويشتغل بالأهم حتى يتكون لديه رصيد من البيانات والأدلة التاريخية.

وتختلف الأدلة والشواهد، غير أن الوثيقة هي أهم ما في الأدلة التاريخية، فحين تتوفر الوثيقة وتصح نسبتها نضعها أعلى الأدلة، وهذا لا يعني المصداقية التامة فهناك نقد منتظر للوثيقة، غير أنه يعني الحصول على مصدر من زمن الحادثة، فهو يقربنا كثيرا منها، ثم تخضع الوثيقة للقراءة والتأويل، وفي أثناء تأكدنا من صحة الدليل أو الوثيقة قد نشأ لدينا أدلة أخرى نضيفها إلى الجو العام للبحث، قد تحيلنا الوثيقة إلى وثائق أو حوادث أو أسماء أو أزمنة أخرى.

إننا نختار الموضوع ونحدد مكان وزمان الحادثة، ونحدد الأشخاص أيضا، ثم نجمع البيانات (المادة التاريخية)، وهي تنقسم إلى قسمين، المصادر الأولية: كالآثار والوثائق والسجلات والمحاضر والمذكرات والأرشيف والخطابات المرئية والمسموعة والوثائقيات، وقد تطورت الوثائق مع الزمن لتتحول من وثائق مكتوبة إلى مسموعة ومرئية ومصورة، ثم المصادر الثانوية وهي المعلومات التي يلجأ إليها المؤرخ حين تعذر المصادر الأصلية، أو حين يريد البرهنة على ما ورد في الأصلية، والمصادر الثانوية مصادر غير مباشرة، ومنها المنقولة التي تؤخذ من المصادر الأولية ، ويجد المؤرخ ضالته هذه في دراسات سابقة وجرائد وفنون ومؤلفات في مواضيع أخرى قد تتضمن شيئا ما من التاريخ، والخرائط والتسجيلات الإذاعية والمتلفزة، وغير ذلك، ثم نصل إلى مرحلة هامة وهي مرحلة نقد المصادر، أو البيانات، وذلك بالتأكد منها وتحليلها عقليا أيضا، وربطها بأمور شتى تثبت صحتها من عدمها، وقد كان هذا منهجا إسلاميا خالصا، رأيناه عند المحدّثين، وعند مؤرخي الإسلام أيضا، فلا تنفصل عندهم الرواية التاريخية عن الحديث، ولنتأمل قول ابن خلدون:(وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين و أئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا ولم يعرضوها على أصولها ولاقاسوها بأشباهها ولاسبروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر و البصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط ولا سيما في إحصاء الأعداد من الأموال و العساكر إذا عرضت في الحكايات إذ هي مظنة الكذب ومظنة الهذر ولا بد من ردها إلى الأصول و عرضها على القواعد)، فهو يدل على أصالة المنهج في البحث التاريخي، ويدل على التميز الذي حازه ابن خلدون وعلى التجديد الذي جاء به في الكتابة التاريخية.

ثم إن نقد البيانات يكون خارجيا وداخليا، فالخارجي مهمته التأكد من صحة الوثيقة، وفيه نقوم بأمرين: التأكد من أن الوثيقة لم تتعرض لإضافة أو تزييف، فنصحح نسبتها إلى أصلها، وقد تكون نسخة غير أصلية، وننظر في اختلاف النسخ إن وجدت، ثم نتأكد من زمان الوثيقة ومؤلفها للتأكد من نسبتها إلى صاحبها، فقد تكون الوثيقة منسوبة لشخص بينما تتكلم عن شأن وقع بعد ذلك الشخص، أو تكون بلغة لم تكن لذلك الشخص، أو أسلوب حديث لا يتلاءم مع ذلك الشخص، ولدينا وسائل متعددة في التأكد كالتحليل المخبري والتحليل اللغوي وفحص مصادر الوثيقة أيضا، وفحص أحداثها والوقوف مليا عند أي ارتياب فيها.

وأما النقد الداخلي فهو التحقق من معنى الوثيقة ومضمونها، وقد نصل إلى نتيجة إيجابية أو سلبية، فالوقوف عند المضمون يحتمل الأمرين.

ويأتي بعد ذلك صياغة الفرضيات، فلا ريب أن التعامل مع المصادر ينشئ فرضيات، ومن خلال الوثائق ودراستها نكون أمام عملية التحليل التاريخي، وتخضع المادة المتوفرة إلى تحليل علمي رصين، وقد تحتاج مع المصادر إلى مراجع، والفرق بين المصادر والمراجع هو أن المصادر هي الدليل الأصلي وهي ما كُتب في تلك الفترة التاريخية المقصودة بالدراسة، وعنها تأخذ المراجع، وفائدة المراجع أنها كثيرا ما تحيل على المصادر وتنبه إليها، ومنه يستفيد الباحث من جهود الباحثين قبله، ومن جمعهم المصادر، ومن قراءتهم لتلك المصادر أو طريقة استنباطهم منها، وها ينبغي للباحث أن ينصف أصحاب تلك المراجع، وأن يعترف لهم بالفضل، وأن يحيل إلى من استفاد منه، والاستفادة من الدراسات السابقة منهج علمي رصين يحتاجه كل باحث، ولا يُستغنى عن الدراسات السابقة، وجمعها واستيعابها يكون من أولى مهمات الباحث، وذلك كي لا يكون ما يقوم به تكرارا لنتائج أو بحوث سبقه إليها غيره، وكثيرا ما يحصل هذا، فنجد مواضيع نظنها مبتكرة فإذا بها قد تعرضت للتناول والدراسة، ومع اتساع نطاق البحث وطنيا وعالميا ينبغي الحذر هنا من تكرار الدراسات السابقة، وعلينا شغل الوقت والجهد بمواضيع لم تتعرض للتناول والدراسة، فمهمة البحث ليس التكرار، وإنما إثارة مواضيع لم تتعرض للدراسة.

ومن الطرق المثلى للاستفادة من الدراسات السابقة مراجعة الهوامش والفهارس وقائمة المصادر والمراجع التي توجد في آخر كل مرجع، فالعملية البحثية تراكمية، ولا يستغني الطالب عن المراجع التي لا تستغني هي أيضا عن مراجع وعن مصادر، ثم تأتي بعد ذلك مرحلة كتابة البحث وإفراغ نتائج التحليل في متنه، لنصل إلى نتائج ملموسة تكون إجابة على الفروض، وتحتاج الصياغة إلى تمكن في الكتابة، وذلك التمكن يكون من رصيد علمي مشحون بلغة علمية لا إنشائية،

- **ضوابط لموضوعية الكتابة التاريخية**

نحتاج في دراسة الشخصيات والأعلام التاريخية إلى التحلي بروح علمية حقيقية والارتكاز على ضوابط تدفع إلى الإنصاف والتحقيق، ولأن في التاريخ مطبات ومنعرجات وتزييف كثيرا علينا أن نعتمد أكبر قدر

ممكن من الضوابط في الحديث عن الشخصيات والأحداث التاريخية، وخصوصا تلك التي وقع حولها جدل كبير، وسال حبر كثير، وليس المقصود بهذه (الضوابط) الوصول إلى أحكام تاريخية جازمة، وإنما هي غاية الإمكان في التثبت كيلا نظلم التاريخ بإفراط أو تفريط، ومن تلك الضوابط التي علينا انتهاجها:

- الخلفية الثقافية للمؤرخ أو الباحث ينبغي وضعها في الحسبان، ففي كثير من الأحيان يكون المؤرخ موجها بحكم انتمائه، ينظر إلى الأحداث من منظاره الإيديولوجي أو السياسي أو الثقافي أو العرقي، فحين نقرأ لمؤرخ ما وننظر حكمه على شخصيات ما علينا أن نضع ذلك في الحسبان.
- العمق التاريخي: هناك حِقَب زمنية لا بد من احترامها ولو كانت تتميز بشح المصادر وازدياد الغموض، واكتشاف المجهول وإضاءة مناطق تاريخية مظلمة قد تكون قريبة هو من أحسن ما يشغل به الباحث في التاريخ جهده البحثي وإمكاناته.
- الموضوعية: تحييد كل العوامل النفسية والعنصرية والثقافية وعدم تحكيمها في دراسة التاريخ، فالتاريخ ينبغي أن يكون بلا عاطفة، إلا عاطفة إحقاق الحق، الميل إلى الإنصاف وإلى الحق هو العاطفة الوحيدة المسموح بها في نطاق البحث العلمي، مثلا: هناك عاطفة الإحساس بالحيف والاستعباد الذي تعرض له هذا الشعب في فترات تاريخية متفاوتة.
- الأحكام المسبقة والجاهزة لا تليق بالباحث الموضوعي، والتجرد منها مطلوب حتى التيقن من ها – علميا – أ و دحضها، وهذه المعلومات التقليدية أغلبها أحكام عاطفية موروثة ينبغي أن تخضع للتنقيح العلمي الذي يكشف مرة بعد مرة بأدلة قاطعة ظلم الأحكام الجاهزة لشخصيات كثيرة أو أحداث كثيرة ، وهذه مهمة الباحث الشجاع، لا تهمه العاطفة بقدر ما يهمه إظهار الحقيقة بأدلتها.
- هناك أحداثو شخصيات ومناطق تعرضت للإقصاء والنسيان عمدا، رغم أنها كانت محورية، كتاريخ منطقة الجلفة مثلا، وقد تم تغييب كثير منها لعوامل انتقامية أو عاطفية، فهذه ينبغي إنصافها، كما أن هناك شخصيات لعبت أدوارا سلبية وجرت التغطية عليها لأسباب معلومة، فهذه أيضا ينبغي أن توضع تحت مجهر النقد وتحت ضوء البحث الرصين.
- المصادر والمراجع التاريخية بما فيها الرواية الشفوية ينبغي اعتمادها – بحذر – وترتيبها وفق قيمتها التاريخية، ووفق قوانين التاريخ الصارمة التي هي ضرورية جدا للتحقيق في (الدرس التاريخي).

هذا الذي سلف يجعل الباحث أو الطالب أمام مسؤولية علمية وتاريخية، ومع صعوبات جمة تعترض الباحث في التاريخ إلا أن الالتزام بالمنهجية العلمية الصارمة يسوق إلى نتائج طيبة عموما، ومشكلة التاريخ أن أحداثه وأحكامه تبقى ظنية واحتمالية إلا تلك الأحداث والكبرى والشخصيات المفصلية التي

أثبت التواتر البشري وجودها، والحقيقة التاريخية مرنة ومنفلتة وعصية عن التجريب، وعليه فالذي يسعى إليه الباحث في التاريخ ليس الوصول بأحداثه وأحكامه إلى اليقينية بقدر ما هو طرح لأسئلة جديدة، وتصحيح لمعارف مغلوطة أو مقلوبة، وقد يصل إلى نتائج قطعية من مصادر قطعية لا تدع مجالا للشك.

بعض المصادر والمراجع

- قاسم عبده قاسم، تطور منهج البحث في الدراسات التاريخية
- عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون.
- حسين مؤنس، التاريخ والمؤرخون.
- إبراهيم بيضون، مسائل المنهج في الكتابة التاريخية العربية
- سر الختم عثمان علي، أصول تدريس التاريخ
- حسن عثمان، منهج البحث التاريخي
- أسد رستم، مصطلح التاريخ.
- ليلى الصباغ، دراسة في منهجية البحث التاريخي
- ناصر الدين سعيدوني، أساسيات منهجية التاريخ
- عبد العزيز الدوري، نشأة علم التاريخ عند العرب
- عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي.
- منهجية البحث في العلوم الإنسانية، عبود عبد الله العسكري
- البحث العلمي: أسسه ومناهجه، عصام حسن الدليمي
- منهجية كتابة البحوث والرسائل، محمود كاظم محمود التميمي
- البحث العلمي أسسه ومناهجه وأساليبه، ربحي مصطفى عليان
- خطوات البحث العلمي من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة، عقيل حسين عقيل
- طرق ومناهج البحث العلمي، محمد عبد العال وآخرون

مع التحية، أستاذ المقياس، د، محمد طيبي